الرأي العام في العصر الرقمي

د. سالم أحمد العجيل

أستاذ العلوم المساعد–جامعة طرابلس، ليبيا

مستخلص

يتناول هذا البحث ظاهرة ومفهوم الرأي العام في العصر الرقمي والتحولات التي شهدها في ظل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والإعلام الجديد. فالفضاء الرقمي بكل أوعيته كان له الأثر المباشر في التأثير على جميع نواحي الحياة العصرية. وهو ما يثير الانتباه ويستحق الدراسة والبحث. وتوزع البحث على ثلاثة مطالب أساسية هي: الرأي العام: منظور سياسي، طبيعة وخصائص العصر الرقمي، الرأي العام الرقمي: المفهوم والتحولات والتحديات.

الكلمات المفتاحية: الرأي العام، العصر الرقمي، الرأي العام الرقمي.

مقدمة

يمثل الرأي العام ظاهرة سياسية إضافة إلى كونه ظاهرة إعلامية واجتماعية، لها أثرها في جميع مناحي الحياة. فالرأي العام يعد أهم العوامل المؤثرة في تشكيل اتجاهات الناس حيال العديد من القضايا السياسية وكذلك مواقفهم منها سلباً وإيجاباً، فهو مفهوم لصيق بشرعية الأنظمة السياسية ومدى المشاركة السياسية في صنع قرارات السياسة العامة، وما توفره هذه الأنظمة من فرصة تعبير الناس عن وجهات نظرهم في الشأن العام، وما يتصل بذلك من نتائج وأثار تشكل تغذية عكسية Feed Back لسياسات النظم السياسية وتوجهاتها. وفي هذا الشأن – ونتيجة للتحولات الجوهرية التي شهدها الرأي العام المحلي والدولي في العصر الرقمي–تصبح مسألة الاقتراب من مفهوم

الرأي العام الرقمي والوقوف على وسائطه الإليكترونية وأثره وتأثيره في ذو أهمية خاصة.

إشكالية البحث

طرحت تحولات العصر الرقمي الجديد جدلا واسعا بين الباحثين والمهتمين والمتخصصين في مجال علم السياسة والإعلام والاتصال السياسي، حول تأثير تقنيات ووسائط هذا العصر على مجمل القضايا السياسية كقضية الديمقراطية والمشاركة السياسية، ودور الرأي العام في العملية السياسية وغيرها من القضايا التي تأثرت بطبيعة تحولات العصر الرقمي، وعلى خلفية ذلك تتحدد الإشكالية الرئيسية لهذا البحث في سؤال محوري مفاده: إلى أي مدى يسهم العصر الرقمي في تفعيل وفاعلية الرأي العام وتحويله إلى طبيعة رقمية؟ وهي إشكالية تطرح تساؤلات عدة من أهمها:

- ما هو مفهوم الرأي العام؟ وما دوره في الحياة السياسية؟
- ما المقصود بالعصر الرقمي، وما هي خصائصه، ووسائطه وآلياته؟ وإلى مدى يسهم العصر الرقمي في تحولات الرأي العام كما وكيفا؟
- ما هو مفهوم الرأي العام الرقمي؟ وما مدى أثره في تشكيل القضايا السياسية كافة؟ وما هي أبرز التحديات التي تواجهه؟

أهمية البحث

يكتسب هذا الموضوع البحثي أهميته من اعتبارات عدة هي:

- دور الرأي العام وأثره في جوانب الحياة كافة وبخاصة السياسية منها، بحيث يمكننا القول: أن موضوع الرأي العام هو موضوع بيني يجمع ما بين حقول علمية عدة: كعلم الإعلام، وعلم السياسة، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم الاقتصاد. كما يمكن توظيف دراسات الرأي العام في عمليات التسويق والدعاية والإعلان وغيرها من الأنشطة البشرية.

- أهمية التحولات المهمة في العصر الرقمي والتي طالت جوهر الحياة كافة، وألقت بتداعياتها على مجمل القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية والثقافية.
- بروز مفهوم الرأي العام الرقمي كمفهوم جديد يستحق الدراسة والبحث، ومحاولة المساهمة النظرية في تحديد مفهومه ووسائطه والتحديات التي تواجهه كظاهرة وكمفهوم.

أهداف البحث

يسعى هذا البحث لتحقيق الأهداف التالية:

1- محاولة الاقتراب من الرأي العام كظاهرة وكمفهوم، وتحديد عناصره وخصائصه، ودوره في الحياة السياسية.

2- التعريف بالعصر الرقمي وخصائصه ووسائطه وآلياته ودوره في إحداث تحولات جوهرية في مجمل نواحي الحياة والسياسية منها بصفة خاصة.

3- التعريف بمفهوم الرأي العام الرقمي وطبيعة خصائصه وأثره في مجالات الحياة السياسية والتحديات التي تواجهه.

الدراسات السابقة

توجد عدة دراسات تناولت طبيعة العصر الرقمي ووسائطه في تشكيل اتجاهات الرأي العام، وذلك من زوايا عدة، منها: دراسة د. عادل عبد الصادق، بعنوان "الفضاء الالكتروني والرأي العام: تغير المجتمع والأدوات والتأثير"[48]. ودراسة د. الدبيسي، والطاهات، بعنوان: "دور شبكات التواصل الاجتماعي في تشكيل الرأي العام لدى طلبة الجامعات الأردنية"[49]. ودراسة

---

48 - د. عادل عبد الصادق، الفضاء الالكتروني والرأي العام: تغير المجتمع والأدوات والتأثير، القاهرة: المركز العربي لأبحاث الفضاء الاليكتروني " سلسة مفاهيم استراتيجية، ديسمبر 2010.

49 - عبد الكريم على الدبيسي، زهير ياسين الطاهات، دور شبكات التواصل الاجتماعي في تشكيل الرأي العام لدى طلبة الجامعات الأردنية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 40، العدد1، 2013

تيتي حنان، بعنوان: "دور وسائل الإعلام في تفعيل قيم المواطنة لدى الرأي العام: حالة الثورات وقيم الانتماء لدى الشعوب العربية"[50]. ودراسة د. محمد جاد أحمد، بعنوان: "الإعلام الفضائي وآثاره التربوية"[51]. ودراسة نادية بن ورقلة، بعنوان: "دور شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية الوعي السياسي والاجتماعي لدى الشباب العربي"[52]. ويتناول الباحث هنا مفهوم الرأي العام الرقمي في ظل ما شهدته تحولات المتغير التقني والمعلوماتي من حيث الكم والكيف وما مدى التأثيرات السياسية لهذه التحولات.

فرضية البحث

ينطلق الباحث من فرضية أساسية يمكن صياغتها على النحو التالي: أن العصر الرقمي بوسائطه الاتصالية والمعلوماتية قد أدي إلى تحولات جوهرية مهمة في مفهوم الرأي العام، ووسائط تشكليه وصنعه، بما يمكن الحديث عن مفهوم وظاهرة الرأي العام الرقمي. وتتعامل هذه الفرضية مع العصر الرقمي وتحولاته كمتغير مستقل كان له أثره الكبير والمباشرة في بروز ظاهرة ومفهوم الرأي العام كمتغير تابع.

منهجية البحث

من أجل اختبار الفرضية الأساسية لهذا البحث، وبهدف الإجابة عن التساؤلات التي يطرحها يعتمد الباحث على المنهج التحليلي لتفسير وفهم أثر العصر الرقمي في بلورة وبروز مفهوم الرأي العام الرقمي، وما يتصل به من

---

50 - تيتي حنان، دور وسائل الإعلام في تفعيل قيم المواطنة لدى الرأي العام: حالة الثورات وقيم الانتماء لدى الشعوب العربية، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، الجزائر: جامعة محمد خيضر-بسكرة، السنة الجامعية 2013-2014.

51 - د. محمد جاد أحمد، الإعلام الفضائي وآثاره التربوية، كفر الشيخ-مصر: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط1، 2008.

52 - نادية بن ورقلة، دور شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية الوعي السياسي والاجتماعي لدى الشباب العربي، موقع www.almaktobot.net

تحديات. كما يستعين الباحث بالمدخل التاريخي لتتبع تشكل ظاهرة الرأي العام وبروزه كمفهوم له خصائصه وعناصره وأنواعه وأنماطه.

ويتبع الباحث الأسلوب المكتبي في البحث بالرجوع إلى مصادر معلوماتية تخدم أهدافه، كالوثائق والكتب والدوريات العلمية والأبحاث والمواقع الإليكترونية، التي تناولت جوانب منها موضوع البحث.

خطة البحث

بهدف تغطية جوانب ومتطلبات وتحقيق أهداف البحث يقترح الباحث الخطة التالية:

- المطلب الأول: الرأي العام: منظور سياسي.
- المطلب الثاني: طبيعة العصر الرقمي: مفهومه وخصائصه.
- المطلب الثالث: مفهوم الرأي العام الرقمي: التحولات والتحديات.
- الخاتمة والنتائج.

المطلب الأول/ الرأي العام: منظور سياسي

تعتبر ظاهرة الرأي العام ظاهرة قديمة عرفتها كل المجتمعات والحضارات الإنسانية في الشرق والغرب، حيث "كان حكام سومر وبابل وأشور يقيمون وزنا لا بأس به للرأي العام، كما تكشف آثار مصر الفرعونية عن إدراك واضح للرأي العام وتكشف عن أساليب راقية للتأثير فيه وتوجيهه الوجهة المطلوبة مثل "تأليه" الفرعون وتقديس الكهان وتشييد المعابد وإقامة الأهرامات، وهذا كله سوى أساليب للتأثير في الرأي العام"[53].

وتشيد الكتابات بأهمية التجربة الديمقراطية اليونانية في تكوين رأي عام مستنير من شأنه أن يدعم هذه التجربة، حيث يعتبر البعض أن "المدن

53 . نقلاً عن تيتي حنان، دور وسائل الإعلام في تفعيل قيم المواطنة لدى الرأي العام: حالة الثورات وقيم الانتماء لدى الشعوب العربية، مرجع سابق، ص 37

اليونانية أول من أعطى للرأي العام مجالاً واسعاً لتنظيم شؤون المجتمع. وكانت الكلمات الإغريقية (Casa pfemenomos) واصطلاح (VXO Populi) تدل على رأي المواطنين الراغبين في التأثير في الأمور العامة"[54]. ومن هذه الناحية تم التعامل مع الرأي العام كظاهرة سياسية في المقام الأول.

وتذهب الأدبيات السياسية إلى أن مصطلح الرأي العام بدأ استخدامه في أواخر القرن الثامن عشر وتحديداً في فرنسا، وشغل اهتماما واسعاً في أحداث الثورة الفرنسية 1789. حيث جاءت الثورة الأمريكية وبعدها الفرنسية كأبرز حدثين يعبران عن دور وقوة الرأي العام"[55]. ومن ثم استقر هذا المصطلح في الأدبيات السياسية بخاصة في منتصف القرن العشرين بفعل اسهامات المدرسة السلوكية في علم السياسة والتي تركز بشكل كبير على السلوك السياسي للفرد ودوره في العملية السياسية، ومن ثم دور الفواعل غير الرسمية في الحياة السياسية.

وعلى العموم فإن ظاهرة الرأي العام–من منظور سياسي–هي تعبير عن تراكم طبيعي لظاهرة "التواصل السياسي كظاهرة إنسانية واجتماعية وثقافية، وهي ظاهرة قديمة قدم التجمعات البشرية، وحاجة الإنسان للتنظيم السياسي والاقتصادي والاجتماعي سواه"[56]. وهي بذلك ظاهرة ليست منعزلة ومنفصلة عن عوامل بيئتها فهي بالضرورة:

---

54 المرجع السابق، ص 37

55 - المرجع السابق، ص 38

56 - د. يحي اليحياوي، في تجاذبات العلاقة بين الإعلام والاتصال والسياسة (ملف قضايا)، مركز الجزيرة للدراسات، نوفمبر 2013، ص2

أولاً–ظاهرة "تتأثر بمجموعة من العوامل السياسية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية قبل أن يتبلور بشكله النهائي، وتلعب وسائل الإعلام التفاعلية دوراً مهما في تشكيل الرأي العام"[57].

ثانياً–هي ظاهرة لا يمكن فهمها في أي "أمة من الأمم، ما لم ندخل في اعتبارنا تلك القوى المادية والاجتماعية التي تشكل شخصية الأمة، وتسهم في تكوين الفرد لمعتقداته وتشكيل اتجاهاته"[58].

ثالثاً–أنها ظاهرة ليست إعلامية أو اجتماعية، فهي قبل كل شيء ظاهرة سياسية عميقة التأثير في القضايا السياسية المطروحة، وفي العملية السياسية برمتها ونعتقد أن هذا التأثير سيزيد ويتعاظم في المستقبل وفي ظل العصر الرقمي. وفي هذا الشأن يمكن القول: إن السياسة ليست سوى محصلة عملية تعبير عن الآراء المختلفة التي يعتقد فيها الأفراد بوصف الإنسان ليس سوى كائن سياسي، أو "حيوان سياسي" بتعبير أرسطو. وعلى رأي البعض "إن جميع الناس مفكرون سياسيون، وسواء علموا بذلك أم لم يعلموا، فإن الناس يستخدمون المفاهيم والأفكار السياسية حينما يعبرون عن آرائهم أو يصرحون بما في أذهانهم"[59].

ومن الناحية المفاهيمية نجد أن كلمة الرأي لغةً تعنى: "الاعتقاد والعقل، والتدبر والنظر والتأمل"[60]. أما من الناحية الاصطلاحية فمصطلح الرأي العام يدور حول تعريفه جدل عميق شأنه شأن المفاهيم السياسية الأخرى. فالرأي العام "مفهوم يصعب الإحاطة به في ضوء صعوبة تحديد

---

57 - عبد الكريم على الدبيسي، زهير ياسين الطاهات، دور شبكات التواصل الاجتماعي في تشكيل الرأي العام لدى طلبة الجامعات الأردنية، مرجع سابق، ص68

58 - المرجع السابق، ص 73

59 - أندرو هيود، مدخل إلى الأيديولوجيات السياسية، ترجمة: محمد صفار، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2012، ص 9

60 - أنظر: صالح خليل أبو أصبع، العلاقات العامة والاتصال السياسي، عمان-الأردن: دار الشروق، ط 2، 2009، ص 152

الاصطلاحات في علم السياسة بصفة عامة "[61]. ومهما يكن من أمر فإن ظاهرة الرأي العام "لم تخضع للتحليل الإبستومولوجي والتدقيق المعرفي إلا في أواسط القرن الماضي، لا سيما في ظل بروز الأحزاب السياسية والنقابات العمالية والتنظيمات المدنية بمختلف أشكالها وتلويناتها" [62] . ومحاولة تأثيرها في تشكيل ظاهرة الرأي العام واستقطابه بما يخدم مصالحها وأهدافها.

ويشير مفهوم الرأي Opinion إلى "وجهة نظر أو حكم أو تقييم يكونه الفرد عن موضوع ما، أو هو الاعتقاد الذي تكون فيه أسباب الإيجاب أقوى من أسباب النفي"[63]. ويتفق الدارسون للرأي العام على وجود عناصر محددة تعبر عن المفهوم، وهي: الاتجاه، جماعة، قضية. ويرى البعض أن" هذه العناصر يجب أن تسود في أي تعريف للرأي العام، وبغض النظر عن طرح آلية التعريف"[64]. وتتمثل هذه العناصر في الآتي:[65]

أ- الرأي العام يمثل مجموعة من آراء جمع كبير من الأفراد.

ب- هذه الآراء تتصل بالمسائل المختلف عليها وذات الصالح العام Public Interest.

ت- هذه الآراء يمكن أن تمارس تأثيراً على سلوك الأفراد والجماعات والسياسة العامة الحكومية أو العامة

---

[61]- د. هدى ميتكيس ، توصيف مقرر مادة " الرأي العام في الوطن العربي "، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، العام الأكاديمي 2015 – 2016 ، ص. 10

[62] - د. يحي اليحياوي، في تجاذبات العلاقة بين الإعلام والاتصال والسياسة، مرجع سابق، ص.2

[63]. د. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية (عربي-إنجليزي)، منشور على موقع www.kotobarabia.com ص 222-223

[64]- د. صايل زكي الخطاب، مدخل إلى العلوم السياسية، عمان-الأردن: دار وائل للنشر، ط1، 2010، ص 221.

[65] - د. أحمد بدر، الرأي العام: طبيعته وتكوينه وقياسه ودوره في السياسة العامة، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر، 1998، ص 57

ث- لا بد من توافر المناقشة والتي ينتج عنها رأي عام، أي محصلة الآراء المختلفة.

وبصفة عامة فإن الرأي العام "لا يقتصر على فرد واحد، فالرأي الخاص هو رأي الفرد في مسألة تخصه وحده ولا تتعداه، أما الرأي العام فيتصل بالمجتمع ككل وينبع منه ويتعلق بمشكلة عامة تتعدد بشأنها وجهات النظر والمناقشات"[66]. فهو رأي عام يتمحور حول عدة قضايا مجتمعية تدخل القضايا السياسية في عمقها. ومن هنا ينظر إلى الرأي العام كقناة مهمة من قنوات التواصل السياسي بحيث "لم تعد السياسة "حكراً على من يمارسون العمل السياسي، بل أصبحت سلوكاً يقوم به أفراد المجتمع العاديون، كما يقوم به القائم على السلطة السياسية، إلى الحد الذي دفع البعض إلى تسمية هذا العصر بعصر السياسة والتسييس"[67].

ومن هنا تتأكد الطبيعة السياسية للرأي العام ومدى تأثيره في قضايا المجتمع السياسي، وهي طبيعة تتوقف على عدة عوامل تتعلق بمدى ديمقراطية النظم السياسية، ومدى مساحات التعبير التي تفسحها أمام المواطنين من جهة، وطبيعة الثقافة السياسية لدى المواطنين، ومدى ادراكهم لأهمية الرأي العام وانخراطهم في الشأن العام من جهة ثانية، وباختصار فالطبيعة السياسية للرأي العام تتجلى من خلال التالي.

- الرأي العام يشكل أحد مدخلات النظام السياسي، فيما يتعلق بالمطالب التي تطرحها الجماهير، وفيما يتعلق بعنصر التأييد في حالة ما إذا كان الرأي العام متطابقاً مع توجهات النظام السياسي وأهدافه ومصالحه.

---

66 - د. هدى ميتكس، توصيف مقرر مادة " الرأي العام في الوطن العربي "، مرجع سابق، ص. 13

67 - د. يحي اليحياوي، في تجاذبات العلاقة بين الإعلام والاتصال والسياسة، مرجع سابق، ص.4-5

- الراي العام–من منظور سياسي–يشكل أحد أهم العوامل التي تؤثر في مخرجات النظام السياسي، فهو يمثل أحد أهم الفواعل غير الرسمية التي تلعب دورها في تشكيل وتوجيه القضايا السياسية كافة من صنع السياسات العامة والتأثير عليها وتقويمها لمعرفة نتائجها وجدواها ومعرفة توقعات الرأي العام منها. ومن هنا اهتمت كل الدول والحكومات والأنظمة السياسية بظاهرة الرأي العام ودراستها وتحليلها وأنشأت مراكز لقياس الرأي العام لمعرفة توجهاته حيال كل القضايا الاجتماعية والسياسية قبل سن أي سياسات عامة أو اتخاذ قرار سياسي محدد. حيث تلعب استطلاعات الرأي العام "دوراً في نقل تصورات المواطنين تجاه القضايا المطروحة للاستطلاع إلى السلطة الحاكمة، والكشف عن توجهاتهم إزاء ذلك"[68].

المطلب الثاني: طبيعة العصر الرقمي: مفهومه وخصائصه

العصر الرقمي هو نتاج الثورة المعلوماتية الرقمية أو ما سمي ب "الرقمنة". حيث أحدثت "تكنولوجيا المعلومات تحولاً في الأسلوب الذي نفكر به في كل شيء ونفعل به أي شيء في حياتنا تقريبا"[69]. فهي عامل أصبح مؤثراً في حياتنا لا يمكن لنا إهماله أو إنكاره، فنحن نعيش العصر الرقمي بامتياز. وبحيث أصبح هذا العصر واقعا معاشا يلفت انتباه أي باحث. حيث "يشهد عالمنا المعاصر تحولات كبيرة في تكنولوجيا الاتصال، تؤثر في العلاقات السياسية والاقتصادية، وفي أنماط التفكير في المجتمعات المختلفة"[70].

---

68 - د. هدى ميتكس، توصيف مقرر مادة " الرأي العام في الوطن العربي "، مرجع سابق، ص.6

69 - الاتحاد الدولي للاتصالات، دليل الأمن السيبيراني للدول النامية، جنيف 2006، ص.3

70 - عبد الكريم على الدبيسي، زهير ياسين الطاهات، دور شبكات التواصل الاجتماعي في تشكيل الرأي العام لدى طلبة الجامعات مرجع سابق، ص. 66

الرأي العام في العصر الرقمي

فمفهوم العصر الرقمي يرتبط بتكنولوجيا المعلومات والاتصال والإعلام، وهو نتاج لها ويتفاعل معها فيما سمى بالطوفان الرقمي الذي غير كل شيء في العالم واقتحم كل مناحي الحياة فيه، من خلال تفاعلات التقنية الحديثة ووسائط الاتصال المتطورة، ومن خلال اللغة الرقمية التي أصبحت لغة عالمية جديدة. وبالتالي فمفهوم العصر الرقمي هو ذلك العصر الذي ترسخ وأصبح مجالاً تسنده تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الجديدة ويؤسس لعلاقات اتصالية غير مسبوقة حيث أنه "مع تطور وسائل الاتصال الإليكترونية وتعدد خدماتها، أصبحت ظاهرة الاتصال عن بعد إحدى الظواهر المهمة في إدارة شؤون المجتمعات الحديثة، كما أدى امتزاج تكنولوجيات الحاسب مع تكنولوجيا الاتصال عن بعد إلى خلق عصر جديد يعتمد على النشر الإليكتروني ونتج عن ذلك طهور العديد من وسائل الاتصال والنشر والإعلام الجديدة"[71]. الأمر الذي قاد إلى الحديث جدياً عن العصر الرقمي التي من أهم خصائصه ومميزاته، هي:

- تقليص عامل المكان والزمان، الذي أسس لما يمكن أن نطلق عليه "العالم الرقمي" بحيث أصبح عالم اليوم أشبه بقرية صغيرة. ما أدى أن يكون الفضاء الرقمي يشكل عالما افتراضيا واحداً تتدفق فيه المعلومات بشكل انسيابي وحر دون اعتبار للحدود الجغرافية والمكانية والسياسية وفي اختزل لعامل الزمان والمسافات الواقعية. فالفضاء الرقمي الجديد حول العالم إلى "عالم بلا حدود، تترابط فيه جميع شعوب العالم كما لو كانوا سكان بلدة صغيرة واحدة"[72]. إذ ضغط المتغير الرقمي العامل

71 - وحدة الدراسات والأبحاث، الإعلام الإليكتروني ودوره في الصراعات الدولية، موقع مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، موقع www.fikercenter.com

72 - هال أبلسون وآخرون، الطوفان الرقمي كيف يؤثر على حياتنا وحريتنا وسعادتنا، ترجمة: أشرف عامر، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014، ص. 25

الزمكاني وقلصه بشكل غير مسبوق. حيث حولت التكنولوجيا "المجتمعات من مجتمعات جغرافية متناثرة إلى مجتمعات فكرية بعد أن استخدم نصف سكان العالم الانترنت وتواصل ثلثها عبر مواقع التواصل الاجتماعي"[73] ، فالفضاء الرقمي ليس فضاءً محدود المكان والزمان، بل هو من السعة والمساحة بمكان، حيث "يمكن لشبكات الكمبيوتر إيصال كل شيء إلى كل مكان في العالم، على الفور، وبلغت أجهزة الكمبيوتر من القوة ما يكفي لأن تستخرج المعنى من كل المعلومات، وتجد أنماطاً وتوجد علاقات في غمضة عين"[74].

- توفير مساحات شاسعة أمام المتلقي والمستخدم للتفاعل مع كل القضايا السياسية والاجتماعية والانخراط في الشأن العام، فالفضاء الرقمي تكمن قوته وفاعليته في "قدرته على إيصال الرسائل والخطابات في آن واحد لجمهور واسع، غير معروف، مشتت ومتباين، وبما يمكن من التواصل التفاعلي، وذلك ضماناً لمشاركة أكثر وتأثير أقوى"[75]. ومن هنا كان للعصر الرقمي أثره الكمي في توفير أوعية جديدة للتعبير عن الرأي العام، فلم تعد الوسائط التقليدية المقروءة منها والمكتوبة والورقية هي الوعاء الحاضن للرأي العام ووسيلة التعبير عنه، بل أن ثمة العديد من الأوعية الرقمية كالمدونات، والمواقع الإلكترونية، وشبكات التواصل الاجتماعي أصبحت مساحات مفتوحة أمام الجمهور للتأثير في الرأي

---

73 - د. عبد الأمير الفيصل، مخاطر الضخ الإعلامي في مواقع التواصل الاجتماعي على السلم الأهلي، موقع مجلة الباحث الإعلامي

74 - هال أبلسون وآخرون، الطوفان الرقمي كيف يؤثر على حياتنا وحريتنا وسعادتنا، مرجع سابق، ص. 13

75 - د. يحي اليحياوي، في تجاذبات العلاقة بين الإعلام والاتصال والسياسة، مرجع سابق، ص. 6

العام وتشكيله في اتجاهات عدة ومتعددة[76]. وتوضح الإحصائيات العالمية لسنة 2004 "أن اكثر من 4.7 مليون موقع على شبكة الانترنت تم استحداثها والأغلبية الساحقة منها في البلدان المصنعة. ويقدر عدد مواقع الشبكة حسب آخر التقديرات بـ(70) مليون موقع و(700) مليون مستخدم"[77].

- سرعة الاستجابة، وهي سرعة غير مسبوقة ولم تشهد لها البشرية مثيلا، فالفضاء الرقمي يتميز بخاصية السرعة الفائقة والسعة غير المحدودة للاستجابة، وبحيث أصبح فضاءً يتيح "سبل التفاعلية وما بعد التفاعلية، التي حملتها أجيال الانترنت المتعاقبة، فهو لم يعد شبكة وسيطاً، بل أصبح شبكة تتماهى مع مفهوم الوسط، باعتباره فضاء للتبادل والنقاش الحي المباشر"[78].
- خفض التكلفة، فالفضاء الرقمي وفر أمام الناس أوعية منخفضة الكلفة رخيصة وسهلة الاستخدام وقابلة للتواصل السريع، مقارنة بالأوعية التقليدية للتعبير عن الرأي العام، وبهذا أتاح الفضاء الرقمي للجمهور أوعية جديدة تتميز بالوفرة من جهة والتوفير الاقتصادي من جهة أخرى، من حيث عامل "الجهد والوقت والمال في ظل مجانية الاشتراك

---

76 - يتيح الفضاء الرقمي للجمهور طيف متنوع من المواقع، منها على سبيل المثال: مواقع المدونات مثل بلوغر ووردبرس blogger&worldpress، ومواقع التدوين المصغر مثل Twitter، ومواقع مشاركة الخدمات الاجتماعية مثل يوتيوب وفليكر YouTube&Flickr، ومواقع محررات الشبكة التشاركية مثل: ويكي سبيسس Wikispaces ومواقع العالم الافتراضي مثل الحياة الثانية Second Life، ومواقع خدمات الشبكات الاجتماعية مثل Facebook. أنظر في ذلك: د. ليلى الجهني، نموذج مقترح لسياسة استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية في مؤسسات التعليم العالي، مجلة رؤى استراتيجية-مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، المجلد 3،العدد 11، يوليو 2015

77 - الفجوة الرقمية، بحث منشور على موقع https://master25m.skyrock.com

78 - د. يحي اليحياوي، الإنترنت كفضاء للحروب الافتراضية القادمة (ملف قضايا)، مركز الجزيرة للدراسات، يناير 2014، ص. 2

والتسجيل بحيث يستطيع الفرد البسيط امتلاك حيز على شبكة التواصل الاجتماعي، التي أصبحت ليس حكراً على أصحاب الأموال، أو حكراً على جماعة دون أخرى"[79].

المطلب الثالث: مفهوم الرأي العام الرقمي: التحولات والتحديات

يرتبط مفهوم الرأي العام الرقمي بدرجة كبيرة "مع ظهور طفرة في شبكة الانترنت، وتكنولوجيا الإعلام والاتصال خاصة شبكات التواصل الاجتماعي من (فيسبوك–توتير) والمواقع الإليكترونية الإخبارية والتفاعلية والمدونات وغيرها من مظاهر التكنولوجيا الرقمية، ما اتيح للأفراد والجماعات فضاءات شاسعة ومساحات حرة للتداول والنقاش في كافة أمور الحياة وفي مقدمتها القضايا السياسية"[80]. ويمكن تصور مفهوم الرأي العام الرقمي من خلال الشكل التالي:

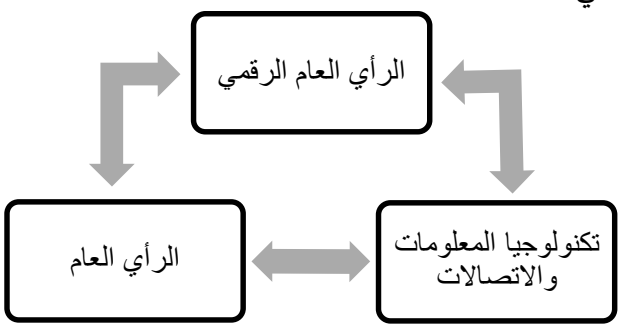

ومن هنا لعب العصر الرقمي ووسائطه الإليكترونية دورها المهم في طرح مفهوم الرأي العام الرقمي، حيث إن هذا العصر المدعوم بتقنية المعلومات

79 - نادية بن ورقلة، دور شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية الوعي السياسي والاجتماعي لدى الشباب العربي، موقع www.almaktobot.net

80 - مركز هردو لدعم التعبير الرقمي، الديمقراطية الرقمية: التكنولوجيا وظاهرة رقمنة السياسة، القاهرة، 2017، ص. 4

والاتصالات الجديدة قد أدى إلى الدفع بظاهرة الرأي العام وصناعته وتشكيله من عدة نواحي، يمكن تلخيصها في التالي:[81]

- لفت انتباه الحكام إلى ظاهرة الرأي العام بشكل أكبر، بل وتعاظم حضوره من خلال المنصات المستقلة من خلال التدوين الشخصي، وامتلاك مجموعات كثيرة من الأفراد لمواقع خاصة يمررون من خلالها آراؤهم الخاصة؛
- تعاظم وتأثير الإعلام الإليكتروني على الساحتين المحلية والدولية، ودوره كأداة من أدوات التعبئة والحشد لقضايا ومفاهيم تروج لأجندات بعينها؛
- أسهم الإعلام الإليكتروني بشكل كبير في الترويج لعقائد ومفاهيم أيديولوجية بعينها، إذ استخدمت المواقع الإليكترونية للدعوة والتبشير بالأيديولوجيات والأديان والعقائد المختلفة.
- ومن جهة أخرى، فإن توظيف تقنيات العصر الرقمي في خدمة القضايا السياسية، قد أدى إلى تفعيل التواصل بين النظم والنخب السياسية والرأي العام من خلال عدة عمليات وممارسات من أبرزها: "التصويت الإليكتروني في الانتخابات المحلية والبرلمانية والرئاسية E-Voting، الجدل السياسي عبر شبكة المعلومات E-Debating"[82].
- والتكنولوجيا–أي كانت–لها سلبياتها بقدر ما لها من إيجابيات، مما يشكل تحديات جمة أمام ظاهرة الرأي العام الرقمي ودورها في الحياة السياسية، حيث تعد من سلبيات ذلك ما يلي:

---

81 - وحدة الدراسات والأبحاث، الإعلام الإليكتروني ودوره في الصراعات الدولية، مرجع سابق.

82 - د. خالد صلاح الدين على، الديمقراطية الرقمية: تطبيقاتها العالمية وآفاق مستقبلها في الوطن العربي في إطار تحليل النظم العامة، موقع مجلة الإذاعات العربية.

- مسألة التقنين، وهي مسألة ترتبط بالتشريعات الخاصة بتقنين ظاهرة الانترنت كفضاء رقمي متشعب ومتسع ومتداخل الفواعل والأوعية، كما ترتبط من جهة أخرى بمدى قدرة هذه التشريعات على الحد من جرائم العصر الرقمي، وكذلك مسألة التوزان ما بين حرية التعبير والمساس بحرية وحقوق الأخرين، وهذا ما يطرح بقوة تحدى التقنين في المجال الرقمي والذي يتعلق بدور "التشريعات والتنظيمات، من أجل حماية المجتمع من فوضى وشيكة يمكن أن تلم به بفعل المتغير المعلوماتي"[83].
- القرصنة الإليكترونية، وهو تحدي يتعلق بمفهوم الجريمة السيبرانية والأمن السبيراني أي أمن تكنولوجيا الاتصالات، والذي يهدف إلى التصدي للتهديد العالمي الكامن في الجريمة السيبرانية. وهي جريمة ناتجة عن ظاهرة القرصنة الإليكترونية التي تتعدى الحدود الوطنية والسياسية مثل الهجمات المرتبطة "بسرقة الهوية، والرسائل الاقتحامية، والتصيد الاستدراجي والبرامج المؤدية التي يمكن أن تضرب حواسيب الأشخاص من مكامن موجودة عبر الكرة الأرضية"[84].
- تحدي المصداقية، فالمصداقية قد تكون غائبة عن مصادر المعلومات الرقمية كون المصداقية تتعلق "بالمدى الذي يتم فيه رؤية المصدر كخبير يعرف ويقدم الإجابات الصحيحة وينقل الرسائل بدون تحيز"[85]، وهذا ما يطرح تساؤلات عدة حول مصادر المعلومات المتاحة على شبكة المعلومات الدولية وما مدى مصداقيتها وتجييرها لخدمة أغراض

---

83 - محمود الضامن، الفجوة الرقمية، موقع http://faculty.kfupm.edu.sa

84 - الاتحاد الدولي للاتصالات، دليل الأمن السبيراني للدول النامية، مرجع سابق، ص. 1

85 - د. عبد الحافظ عواجي صلوي، نظريات التأثير الإعلامي، جمع وتنسيق: أسامة بن مساعد المحيا، 1432 هجري، ص. 4

سياسية مغرضة قد تشوه الحقائق وتسهم في بلبلة الرأي العام. وهو ما أطلق عليه صفة "النفايات المعلوماتية" ، التي تتمثل في "الكم الهائل من المعلومات والبيانات الرقمية غير الصحيحة بل والمضللة، قد لا تستطيع العين البشرية ملاحظته"[86].

- توظيف الفضاء الإليكتروني في خدمة أغراض سياسية وأيديولوجية، قد تكون متطرفة وخطيرة، مثل استخدام الانترنت لأغراض أخرى من بينها بث الإشاعات بهدف إحداث بلبلة في الرأي العام، بحيث "يجب إلا نغفل خطورة الشبكات الاجتماعية على الأمن المجتمعي، وما يؤدي ذلك من قلاقل واضطرابات في عدد من الدول، وقد يكون ذلك بتدبير ودعم مباشرين من قوى خارجية"[87]. كما يتم توظيف وسائط العصر الرقمي المختلفة من خلال جهود الجماعات الإرهابية في عمليات التجنيد واستقطاب المتطرفين الجدد. وهذا ما يؤثر ويثير الرأي العام المحلي والعالمي ، حيث لجأت الجماعات والتنظيمات الإرهابية والمتطرفة إلى أسلوب " حرب المعلومات" ، التي "توظف التقنيات الحديثة لتنفيذ الحملات الدعائية وتحقيق الاتصال المستمر بلغات متعددة مع الموالين ، واستقطاب المجندين المحتملين بمختلف مناطق العالم"[88]، وهذا التحدي كان من أهم أبرز شواغل الأمم المتحدة في سياق مكافحة الإرهاب ، ويمكن الإشارة هنا إلى "المناقشة المفتوحة التي عقدها مجلس حقوق الإنسان بشأن التعاون الدولي لمكافحة التطرف

---

86 - هال أبلسون وأخرون، الطوفان الرقمي كيف يؤثر على حياتنا وحريتنا وسعادتنا، مرجع سابق، ص. 21

87 - د. فهد بن عبد العزيز العقيلي، الإعلام الرقمي: ماهيته وأنواعه وآثاره، بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية، ص. 25

88 - د. أسماء الجيوشي مختار، دور استخدام التنظيمات الإرهابية لمواقع التواصل الاجتماعي في إقناع الأفراد بأفكارها، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية-مركز الدراسات والبحوث، 2010، ص. 81

العنيف بتاريخ 19 نوفمبر 2014، حيث سلط الأمين العام الضوء على حقيقة أن التكنولوجيا والعولمة ، يسرتا على المجموعات التي تحركها أيديولوجيات متطرفة عنيفة إلحاق الأذى، والاستفادة من التمويل غير المشروع لزيادة حدة الإرهاب والاتجار بالمخدرات والجريمة عبر الوطنية وغدى بعضها البعض"[89].

- تحدى الأمية الرقمية، وهو تحدي يكشف عن ما يعرف "بالفجوة الرقمية" وهي فجوة تتعلق بالبنية المادية والبشرية التي يتطلبها العصر الرقمي وتشكل أهم مقوماته. وتسمى أيضاً بالفجوة الإليكترونيةDigital Divide : وهو "مصطلح حديث ظهر في علم الحاسوب وعلوم الاجتماع في بداية الألفية الجديدة، وهو يشير إلى الفجوة بين الذين بمقدورهم استخدام الإنترنت بسبب امتلاكهم المهارة اللازمة والقدرة المادية، وبين الذين لا يستطيعون استخدام الإنترنت"[90].
- وعادة ما يطرح هذا التحدي بقوة في دول العالم النامي من حيث تدني البنية المادية اللازمة لاستخدام وتوظيف العصر الرقمي واستحقاقاته، في ظل غياب الدعم المالي والاستثمار في مجال تكنولوجيا المعلومات، وضعف القدرات الفنية والبشرية المتخصصة في هذا المجال، علاوة على "تدني مستوى التعليم وضعف الميزانيات المرصودة، وعدم الإلمام باللغة الإنجليزية التي تسهل لمستخدمي الانترنت الاطلاع على مواقع مختلفة بالشبكة العنكبوتية"[91]. وهو ما يسمى بحواجز اللغة إذ أن أغلب مصادر المعلومات الرقمية ليست بلغات الدول النامية. وبحسب

---

89 ـ د. سالم أحمد العجيل، الجيل الثالث من المقاتلين الأجانب: التجليات والتداعيات، مجلة البحوث والدراسات الاقتصادية، العدد 2، مارس 2017، ص. 220

90 ـ الفجوة الرقمية، موقع الموسوعة الحرة ويكبيديا، https://ar.wikipedia.org

91 ـ محمود الضامن، الفجوة الرقمية، مرجع سابق.

الإحصائيات نجد أن 88% من مستخدمي شبكة المعلومات الدولية هم من سكان الدول المتقدمة وأن سكان دول العالم النامي لا يمثلون إلا 17% من سكان إجمالي العالم الذين يجيدون لتعامل معها. كما تشير أرقام تقرير التنمية البشرية العربية لعام 2002 إلى أن "البلدان العربية تأتي في مؤخرة الترتيب في مجال عدد مواقع الواب حيث لا يتعدى عدد هذه المواقع 14 موقع وهو ما يمثل 0.01 % من محتوى الشبكة وهو العدد الذي يقل بأكثر من ضعفي عدد مواقع دولة صغيرة كدولة إسرائيل التي يصل عدد مواقعها 35 موقعا"[92]، بل الأدهى أن الإحصائيات تشير إلى أن 80% من مستخدمي شبكة الانترنت في الدول النامية يستخدمونها فيما "لا يفيد بل وأحيانا ما يضر. كما أن اغلب هؤلاء يتحولون إلى مدمني انترنت فيما بعد. وذلك كنتيجة لعوامل الإحباط والعزلة والاكتئاب وصعوبة التفاعل مع المجتمع بصورة مباشرة، مما يدفع الكثيرين إلى محاولة الهروب من الواقع إلي حياة أخري افتراضية"[93]، وهو ما يؤثر على فاعلية الرأي العام في الدول النامية ودرجة وتفاعله مع تلك المصادر، وفي أغلب الأحوال يجعل منه رأي عام مستقبل وليس مرسلاً. فالتدفق الحر على شبكة المعلومات الدولية هو في أغلب الأحيان هو تدفق من جانب واحد، يرجح كفة الدول الصناعية المتقدمة في تشكيل الرأي العام في الدول النامية وتوجيهه نحو قناعاتها وخدمة مصالحها.

92 - أنظر: تقرير التنمية البشرية العربي، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي 2002
93 - أحمد المجدوب، مؤشرات الفجوة الرقمية ومن يتولى جسرها؟ موقع عين ليبيا، https://www.eanlibya.com

الخلاصة والخاتمة:

يخلص الباحث من خلال تناوله للمطالب الرئيسية لهذا البحث إلى عدة نتائج أهمها:

- الرأي العام كظاهرة قديم قدم المجتمعات البشرية وهو ما يعكس طبيعة الإنسان ككائن إعلامي وسياسي واجتماعي في المقام الأول.
- ظاهرة الرأي العام ليست ظاهرة إعلامية وحسب، بل هي ظاهرة سياسية بالدرجة الأولى، لها دورها وأهميتها في تشكيل الحياة السياسية للمجتمعات كافة والاهتمام بقضاياها وطبيعة الشأن السياسي العام فيها. فالرأي العام–من منظور سياسي–يعد أهم الفواعل غير الرسمية التي تؤثر في سياسات النظم السياسية المختلفة وتوجهاته السياسية والأيديولوجية.
- أهمية الدور المحوري للعصر الرقمي ووسائطه في تشكيل وصياغة العديد من المفاهيم السياسية، بحيث صار الحديث واضحا عن الديمقراطية الرقمية، والمواطنة الرقمية، والدبلوماسية الرقمية، والإرهاب الرقمي، والرأي العام الرقمي، حيث يتضاعف هذا الدور مع خلال التحولات الكمية والنوعية التي شهدتها مجالات تقنية المعلومات والاتصالات كافة، والتي "منحت وسائل الإعلام إمكانات وقدرات هائلة في التأثير في الآخرين وتغيير المفاهيم، وهو ما جعل منها عاملاً رئيساً من العوامل المؤثرة في صناعة الرأي العام إن لم يكن أهمها"[94].
- مفهوم الرأي العام الرقمي أصبح مفهوما مترسخا وهو مفهوم يتجاوز الظاهرة ليحتل مكانة في الأدبيات السياسية والإعلامية، تحت مصطلحات متعددة منها: الرأي العام الإليكتروني، والرأي العام الجديد،

94 - وحدة الدراسات والأبحاث، الإعلام الإليكتروني ودوره في الصراعات الدولية، مرجع سابق.

الرأي العام في العصر الرقمي

والرأي العام عن بعد. وهو مفهوم يتيح فرصا عديدة يمكن توظيفها في تعظيم دور الرأي العام في الحياة السياسية، بقدر ما يطرح تحديات جديدة أمام الرأي العام الرقمي وتأثيره في القضايا السياسية كافة، وتشكل نقاط ضعف تحد من درجة فاعليته وقوته.